University of Zawia Journal of Educational and Psychological Sciences (UZJEPS)
Volume 15, Issue 1, 2026, pp 311-325 ISSN 3078-2899

The Psychological Impact of Ecosystem Degradation on Local Communities Dependent on Livestock

[1] Ahmad Al-Bashir [2] Abubaker Eissa

Department of Biology, Zawia Faculty of Education, University of Zawia, Zawia, Libya

* Corresponding Author: Ahmad Al-Bashir | Email: a.abdulhamida@zu.edu.ly

Received: 02-05-2026 | Accepted: 15-05-2026 | Available online: 30-06-2026 | DOI:10.26629/uzjeps.2026.17

ABSTRACT

This paper addresses a phenomenon of growing academic significance yet largely absent from the rural mental health literature: the profound psychological wounds inflicted by ecosystem degradation on communities whose livelihoods depend on livestock. Drawing upon a critical and integrative review of empirical evidence accumulated between 2015 and 2025, we map the psychosocial pathways linking environmental destruction to deteriorating mental health among farmers and pastoralists. Findings reveal a multifaceted constellation of psychological responses encompassing ecological grief lacking socially recognized rituals of mourning chronic climate anxiety that transcends individual disorder to erode collective identity, and moral injury arising from coercion into practices that contradict inherited agricultural value systems. Critical gaps emerge in the scarcity of mental health interventions designed specifically for this population, and in the absence of integrated frameworks that simultaneously address environmental and psychological health dimensions within a One Health paradigm. The study concludes that effective responses require moving beyond individual-level intervention toward structural community policies that recognize ecological grief as a legitimate human response rather than a pathology requiring treatment.

Keywords: ecosystem degradation, livestock, rural mental health, ecological grief, climate anxiety, moral injury, pastoralists, herding communities

الأثر النفسي لتدهور النظم البيئية على المجتمعات المحلية المرتبطة بالثروة الحيوانية

[1] أحمد البشير [2] **ابوبكر عيسى**

قسم الأحياء، كلية التربية الزاوية، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا

* المؤلف المراسل: أحمد البشير | a.abdulhamida@zu.edu.ly

استقبلت: 00-00-2026م | قبلت: 00-00-2026م | متوفرة على الانترنت | 00-00-2026م |01.

ملخـــــص البحـــــث

تتناول هذه الورقة ظاهرة متصاعدة الأهمية تكاد تغيب عن أدبيات الصحة النفسية الريفية: ما يتركه تدهور النظم البيئية من جروح نفسية عميقة في نسيج المجتمعات المرتبطة بالثروة الحيوانية، انطلاقاً من مراجعة نقدية منهجية وتركيبية للأدلة البحثية المتراكمة خلال الفترة 2015–2025، يسعى البحث إلى رسم خارطة شاملة للمسارات السيكولوجية التي تربط تدمير البيئة بتردي الصحة النفسية لدى المزارعين والرعاة، تكشف النتائج عن منظومة متشعبة من الاستجابات النفسية تشمل: الحزن البيئي (Ecological Grief) الذي يفتقر إلى طقوس اجتماعية معترف بها، والقلق المناخي المزمن الذي يتجاوز حدود الاضطرابات الفردية ليمس الهوية الجماعية، فضلاً عن الأذى الأخلاقي (Moral Injury) الناجم عن الإكراه على ممارسات تتعارض مع منظومة القيم الزراعية الموروثة، وتبرز الفجوات بجلاء في شُح التدخلات النفسية المُصمَّمة حصراً لهذه الفئة السكانية، وغياب المقاربات المتكاملة التي تجمع بين بُعد الصحة البيئية وبُعد الصحة

"Articles published in *Univ Zawia J Educ Psychol Sci* are licensed under a Creative Commons Attribution-Non-Commercial 4.0 International License."

النفسية وفق منهجية One Health، خلص البحث إلى أن الاستجابة الفعّالة تستلزم تجاوز نموذج التدخل الفردي نحو سياسات مجتمعية بنيوية، تعترف بالحزن البيئي باعتباره استجابة إنسانية مشروعة لا مرضاً يستوجب العلاج.

الكلمات المفتاحية: تدهور النظم البيئية، الثروة الحيوانية، الصحة النفسية الريفية، الحزن البيئي، القلق المناخي، الأذى الأخلاقي، الرعاة، مجتمعات الرعي

مقدمة:

حين تموت الأرض، لا تموت وحدها؛ ثمة شيء ما في داخل الإنسان المرتبط بها يأخذ في الانطفاء معها، ببطء لا تلتقطه الأدوات التقليدية لقياس الصحة النفسية، هذه الحقيقة، التي طالما تجاهلتها السياسات الصحية الريفية، باتت اليوم موضوع جدل علمي متنامٍ يتقاطع فيه علم الأوبئة النفسية، وعلم البيئة الاجتماعية، وأنثروبولوجيا العلاقة بين الإنسان والأرض.

تواجه المجتمعات المحلية المعتمدة على الثروة الحيوانية سواء في سهول أفريقيا جنوب الصحراء، أو مناطق الرعي في آسيا الوسطى، أو البيئات الزراعية الريفية في أمريكا الشمالية وأوروبا مشهداً بيئياً يتآكل بصورة متسارعة: التصحر، وتدهور المراعي، وانحسار التنوع البيولوجي، والجفاف المتكرر، والفيضانات المدمرة. كل هذه العوامل تضغط معاً على منظومة هشة تجمع بين الاقتصاد المعيشي، والهوية الثقافية، والارتباط العاطفي بالمكان، والأثر النفسي لهذا التآكل البيئي التدريجي ليس أقل وطأة من كوارث البيئة المفاجئة، وإن كان أصعب رصداً وأشد استعصاءً على التوثيق، في هذا كشف Cunsolo & Ellis (2018) أن "الحزن البيئي" أي الاستجابة العاطفية لفقدان البيئة المحيطة هو استجابة طبيعية ومشروعة لا مرضٌ نفسي، وهو طرح يُعيد رسم خريطة فهمنا لكثير من مظاهر الضائقة النفسية التي يعانيها المزارعون والرعاة دون أن تُمنح لها تسمية سريرية، بيد أن الأدبيات الأكاديمية لا تزال تُفرط في الاهتمام بالتشخيص الفردي، وتُقصِّر في التحليل البنيوي والجماعي لهذه الظاهرة.

تتبنى هذه الورقة مقاربة نقدية تركيبية، إذ تُقرّ بأن الصحة النفسية للمزارعين والرعاة ليست مسألة ضعف شخصي أو استجابة مفردة لضغط موسمي عابر، بل هي محصّلة تفاعل معقد بين عوامل بيئية هيكلية، وعوامل اقتصادية–اجتماعية، وعوامل ثقافية–هوياتية.

مشكلة البحث

رغم اتساع الأدبيات المتعلقة بأثر التغير المناخي على الصحة الجسدية والاقتصادية للمجتمعات الريفية، لا يزال البعد النفسي لهذا الأثر يُعامَل بوصفه ظاهرة هامشية أو عرَضية، لا بوصفه محوراً بنيوياً قائماً بذاته يستحق دراسة مستقلة، وتزداد هذه الفجوة اتساعاً حين يتعلق الأمر بالمجتمعات المرتبطة بالثروة

الحيوانية على وجه التحديد، حيث يتشابك الفقد البيئي مع فقدان مصدر الرزق، ومع تفكك بنية اجتماعية وثقافية بُنيت تاريخياً حول علاقة الإنسان بالحيوان والأرض والموسم.

يكشف طرح Cunsolo & Ellis (2018) عن إشكالية منهجية جوهرية تواجه الباحثين في هذا المجال: فحين يُعاد تصنيف "الحزن البيئي" بوصفه استجابة طبيعية لا اضطراباً نفسياً، تصبح أدوات القياس السريري التقليدية (كمقاييس الاكتئاب والقلق الفردية) قاصرة عن التقاط طبيعة هذه الظاهرة وأبعادها الجماعية والمستمرة. وهذا القصور المنهجي يترتب عليه إشكال مضاعف:

أولاً، على مستوى التوثيق والرصد: كيف يمكن قياس ضائقة نفسية تتسرب ببطء عبر سنوات من التدهور البيئي التراكمي، حين تكون الأدوات المتاحة مصمَّمة أصلاً لرصد الصدمة الحادة والمفاجئة؟

ثانياً، على مستوى التحليل السببي: إلى أي حد يمكن الفصل بين الأثر النفسي المباشر لتدهور النظام البيئي، وبين الآثار غير المباشرة المتمثلة في فقدان الدخل، وتفكك الروابط الاجتماعية، وتهديد الهوية الثقافية المرتبطة بأنماط الرعي والزراعة؟ وهل تتعامل الأدبيات الحالية مع هذه العوامل بوصفها متغيرات متداخلة فعلاً، أم تُختزل غالباً في تفسيرات أحادية السبب؟

ثالثاً، على مستوى السياسات الصحية: لماذا لا تزال السياسات الصحية الريفية، كما تشير مقدمة هذه الدراسة، تتعامل مع هذه الظاهرة بوصفها ضعفاً فردياً أو استجابة موسمية عابرة، بدلاً من الاعتراف بها كأثر بنيوي جماعي يستدعي تدخلات على مستوى المجتمع لا على مستوى الفرد وحده؟

من هذا المنطلق، تتحدد مشكلة البحث في السؤال المحوري التالي: كيف يتشكل الأثر النفسي لتدهور النظم البيئية لدى المجتمعات المحلية المرتبطة بالثروة الحيوانية، وما العوامل البنيوية البيئية والاقتصادية الاجتماعية والثقافية–الهوياتية التي تتفاعل لتنتج هذا الأثر، في ظل قصور الأطر التشخيصية والسياسية القائمة عن الإحاطة بأبعاده الجماعية والتراكمية؟

أهمية البحث

تستمد هذه الدراسة أهميتها من تقاطعها مع عدة مستويات من الحاجة العلمية والمجتمعية والسياسية، يمكن تفصيلها على النحو التالي:

أولاً: الأهمية النظرية

تسعى هذه الدراسة إلى سد فجوة معرفية حقيقية في الأدبيات النفسية والبيئية، إذ تنقل النقاش من مستوى التشخيص الفردي الضيق إلى مستوى التحليل البنيوي والجماعي، فبناءً على ما طرحه Cunsolo &

Ellis (2018) من أن الحزن البيئي استجابة مشروعة لا اضطراب سريري، تفتح هذه الدراسة الباب أمام إعادة النظر في الأطر المفاهيمية التي توظفها العلوم النفسية والاجتماعية لفهم علاقة الإنسان بمحيطه البيئي المتدهور، كما تسهم في تخصيب حقل بحثي ناشئ يقع عند تقاطع علم الأوبئة النفسية وعلم البيئة الاجتماعية والأنثروبولوجيا البيئية، وهو تقاطع لا يزال، رغم أهميته المتزايدة، محدود التنظير مقارنة بحجم التحديات البيئية الراهنة.

ثانياً: الأهمية التطبيقية والسياسية

تكتسب الدراسة أهمية عملية مباشرة كونها تخاطب قصوراً واضحاً في السياسات الصحية الريفية، التي ما زالت تتعامل مع الضائقة النفسية المرتبطة بالتدهور البيئي بوصفها ظاهرة فردية عابرة، لا أثراً جماعياً مستمراً. ومن خلال تفكيك العوامل البنيوية الثلاثة البيئية والاقتصادية الاجتماعية والثقافية الهوياتية التي تتفاعل لإنتاج هذا الأثر، توفر الدراسة أساساً معرفياً يمكن أن تُبنى عليه تدخلات صحية ونفسية مجتمعية أكثر ملاءمة، بدلاً من الاكتفاء بالتدخلات الفردية العلاجية التقليدية التي لا تلامس جذور المشكلة.

ثالثاً: الأهمية المجتمعية

تمس هذه الدراسة شريحة واسعة من السكان حول العالم ممن يعتمدون في معيشتهم وهويتهم الثقافية على الثروة الحيوانية، سواء في سياقات الرعي التقليدي بأفريقيا وآسيا الوسطى، أو في المجتمعات الزراعية الريفية بأمريكا الشمالية وأوروبا، ومن خلال تسليط الضوء على معاناة نفسية غير مرئية وغير موثقة بالقدر الكافي، تسهم الدراسة في إعطاء صوت علمي لتجربة إنسانية طالما بقيت خارج دائرة الاهتمام الأكاديمي والسياسي، وتفتح المجال أمام اعتراف مؤسسي أوسع بحقوق هذه المجتمعات في الدعم النفسي والاجتماعي.

رابعاً: الأهمية المنهجية

تقدم الدراسة، من خلال مقاربتها النقدية التركيبية، نموذجاً تحليلياً بديلاً يتجاوز القصور المنهجي الذي تعانيه أدوات القياس السريري التقليدية في التقاط الطبيعة التراكمية والبطيئة للأثر النفسي البيئي، وبذلك يمكن أن تشكل هذه الدراسة مرجعية منهجية لأبحاث مستقبلية تسعى لدراسة ظواهر نفسية–بيئية مشابهة، لا سيما في ظل تسارع وتيرة التغير المناخي عالمياً وازدياد الحاجة إلى أطر بحثية قادرة على مقاربة هذا التسارع بأدوات أكثر حساسية وشمولاً.

أهداف البحث:

يُسعى من خلال هذا البحث إلى:

1- توثيق الأنماط النفسية الموثقة في الأدبيات العلمية للمجتمعات المرتبطة بالثروة الحيوانية وسط تدهور النظم البيئية.

2- تحليل المسارات السببية والوسيطة التي تربط البيئة بالصحة النفسية.

3- نقد القصور المنهجي في البحث الراهن.

4- استخلاص توصيات مبنية على الأدلة لبناء سياسات صحية مدمجة.

الإطار النظري والمفاهيمي

1- الصحة النفسية للمزارعين: ما وراء الأرقام

لا تكشف الأرقام وحدها عن حجم الأزمة، صحيح أن دراسة Jones-Bitton وآخرون (2020) على 1,132 مزارعاً كندياً وثّقت أن ما يقارب 57% منهم يرزحون تحت أعراض القلق المحتمل، وأن 34% يعانون من أعراض اكتئابية، بمستويات أعلى قياساً بنظرائهم في عامة السكان، بيد أن القراءة العميقة للبيانات تكشف أن هؤلاء المزارعين يُعانون بصمت، إذ يتردد كثيرون في طلب المساعدة خشية الوصمة الاجتماعية وخشية اختزال هويتهم المهنية في صورة الهشاشة.

وسّعت مراجعة Hagen وآخرون (2019) النطاق الجغرافي لتشمل دراسات من 32 دولة، مؤكدةً أن مزارعي الثروة الحيوانية يمثلون فئة ذات خصوصية سيكولوجية، إذ يُضاف إلى ضغوطهم الاقتصادية المعتادة عبءٌ وجدانيٌّ ناجم عن رقابتهم اليومية على كائنات حية تحت رعايتهم، وعن مسؤوليتهم الأخلاقية تجاه رفاهية هذه الكائنات، هذا البُعد الأخلاقي–الوجداني تحديداً هو ما يُميّز ضائقتهم النفسية عن غيرها.

والملفت للنظر في دراسة Nuvey وآخرون (2020) الصادرة من غانا، أن المزارعين الأفارقة المرتبطين بالثروة الحيوانية يُعانون من مستويات مرتفعة من الكرب النفسي مُرتبطة ارتباطاً مباشراً بخسارة الحيوانات، سواء كانت خسارة اقتصادية ناجمة عن المرض أو ظاهرة بيئية، مما يوحي بأن العلاقة بين الإنسان والحيوان في المجتمعات الزراعية الريفية تتجاوز البُعد الاقتصادي لتمسّ البُعد الوجودي والهوياتي.

2- الحزن البيئي: الفقدان الذي لا يُرثى

يُعدّ مفهوم الحزن البيئي (Ecological Grief) من أكثر المفاهيم التي عرفت توسعاً تحليلياً في العقد الأخير، في ورقتهما الاستشرافية الصادرة في Nature Climate Change، دعا Cunsolo & Ellis (2018) إلى الاعتراف بهذا الحزن كاستجابة طبيعية لفقدان الأنواع والنظم البيئية والمشاهد الطبيعية التي يتشارك معها الإنسان تاريخاً طويلاً من الارتباط الوجداني، ما يجعل هذا الحزن مختلفاً هو افتقاره إلى

"طقوس الحداد" المجتمعية المعترف بها؛ فحين تموت بقرة، يُعزّى صاحبها، أما حين تموت المراعي تدريجياً فلا يُعزّى أحد.

كشف Wahid وآخرون (2025) في دراستهم الإثنوغرافية الميدانية الشاملة بين الرعاة والمزارعين في إثيوبيا وكينيا، أن الخسائر المتراكمة في الثروة الحيوانية والأراضي الرعوية تُولّد ما يصفه الباحثون بـ"الكوارث المزمنة"؛ كل حدث حادّ يتراكم فوق ما سبقه، مُشكِّلاً طبقات متتالية من الصدمة والفقد، وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الرعاة في إقليم الصومال الإثيوبي وصفوا خسارة قطعانهم بوصفها فقدان الذاكرة الجماعية، لا مجرد فقدان رأس مال.

أما Comtesse وآخرون (2021) فقد ذهبوا إلى تمييز وظيفي دقيق بين الحزن البيئي باعتباره خطراً على الصحة النفسية وباعتباره استجابة وظيفية سليمة، مقترحين أن المشكلة الحقيقية تكمن في غياب الاحتواء الاجتماعي والثقافي لهذا الحزن لا في الحزن ذاته، وهو تمييز بالغ الأهمية لأنه يُوجِّه نحو تدخلات مجتمعية بدلاً من التدخلات العلاجية الفردية.

ويمتد هذا الحزن ليطال هويات جماعية راسخة، فقد وثّقت دراسة Markkula وآخرون (2024) في الموطن الأصلي للشعب السامي (Sámi people) في شمال أوروبا كيف أن تغيّر أنماط الثلوج يُهدد تربية الرنة وهي عماد الهوية الثقافية السامية، مُولِّداً حزناً ثقافياً مُضاعَفاً يمسّ في آنٍ واحد الفرد والجماعة والاستمرارية الحضارية عبر الأجيال.

3- القلق المناخي وسولاستاليا: مفردات الضيق البيئي

أسهم مفهوم السولاستاليا (Solastalgia)، الذي صاغه Glenn Albrecht للتعبير عن الكرب النفسي الناجم عن التغيير البيئي في المكان الذي يسكنه الفرد، في تعميق فهمنا لهذه الظاهرة، فالمزارع الذي يُشاهد المرعى الذي نشأ فيه يتحول إلى يباب يعاني ليس من فقدان مادي حسب، بل من خسارة المكان ذاته بوصفه مرجعاً هوياتياً، هذا ما كشف عنه Ellis & Albrecht (2017) في دراستهما الميدانية على مزارعي مناطق القمح في غرب أستراليا، إذ وجدا أن التغيرات المناخية تُفسد الإحساس بالمكان (Sense of Place) وتزعزع الجذور الوجدانية للمزارع في أرضه.

على صعيد أوسع، تؤكد مراجعة Weatherly وآخرون (2023) التي تبنّت منهجية One Health في تحليل العلاقة بين الإنسان والنظام البيئي والحيوان، أن الصحة النفسية البشرية والصحة البيئية والرفاه

الحيواني تشكّل منظومة متكاملة لا يمكن تفكيك حلقاتها دون ثمن باهظ على مستوى كل منها، وهو ما يُحيل بدوره إلى أن تدهور النظام البيئي الواحد يُلقي بظلاله على بقية المنظومة بأثر متسارع ومتشعب.

ما يستحق النقد المنهجي هنا هو أن أغلب أدوات قياس القلق المناخي طُوِّرت في سياقات غربية ولا تلتقط بدقة كافية خصوصية ضائقة مجتمعات الرعي في الجنوب العالمي، ولعل الدراسة المنهجية لـAcharibasam & Anuga (2018) على صغار المزارعين في شمال غانا قد أضاءت هذه الإشكالية بكشفها أن "المسافة النفسية" التي يضعها المزارع بينه وبين التغير المناخي كآلية دفاع لا واعية قد تُفاقم ضعفه أمام تأثيراته النفسية بدلاً من أن تحميه.

المسارات النفسية لتأثير تدهور البيئة

1- الجفاف والشُّح المائي

الجفاف ليس مجرد شُحّ في الأمطار؛ إنه أزمة وجودية متكاملة لمن يعيش على الأرض وبها، استعرضت دراسة Vins وآخرون (2015) وهي من أوائل الدراسات المنهجية التي رصدت الآثار النفسية للجفاف تحديداً مجموعة من المسارات السببية تربط الجفاف بالاكتئاب والقلق وفقدان الهوية والانتماء، ووصلت إلى أن الجفاف المزمن يُعيد هيكلة التصورات الذاتية للمزارعين عن أنفسهم بوصفهم "منتجين فاشلين" وهي فكرة مرضية بالغة الخطورة في ثقافات تربط الكرامة الذكورية بقدرة الأرض على العطاء.

يُضيف Austin وآخرون (2018) في استقراء نتائج الدراسة الأسترالية للصحة النفسية الريفية (Australian Rural Mental Health Study)، أن الجفاف يُلقي بضغطه النفسي عبر مسارات متعددة ومتشابكة: الضائقة المالية المباشرة، وتآكل الشبكات الاجتماعية الداعمة، وتفكك الهوية المهنية والجماعية، والإحساس بفقدان السيطرة على مجريات الحياة، وفي السياق ذاته، أشار Luong وآخرون (2021) إلى أن الأثر النفسي للجفاف لا يتساوى بين الجنسين؛ فالنساء الريفيات يتحملن عبئاً مضاعفاً يجمع بين الضغط الاقتصادي والمسؤولية الرعائية الأسرية وشُح الموارد الصحية المتاحة.

ما يجعل هذا المسار أشد خطورة هو قابليته للتحول إلى دوامة، فقد أثبت Hanigan & Chaston (2022) بنمذجة مستقبلية تمتد إلى عام 2099 في نيو ساوث ويلز الأسترالية، أن استمرار دوامات الجفاف المتوقعة مع التغير المناخي قد تُؤدي إلى ارتفاع معدلات الانتحار الريفي بمعدلات تستدعي اعتبارها حالة طوارئ صحية عامة لا مجرد إحصاء.

2- الأذى الأخلاقي

ثمة مفهوم يشق طريقه بقوة إلى أدبيات الصحة النفسية الزراعية: الأذى الأخلاقي (Moral Injury)، وهو يصف الجُرح النفسي الناجم عن الإكراه على فعل يتعارض مع المنظومة الأخلاقية العميقة للفرد، سلّطت Hoyland وآخرون (2025) الضوء على هذه الظاهرة بين مزارعي الثروة الحيوانية البريطانيين، موثّقةً أن المزارعين الذين يُضطرّون إلى إعدام حيوانات أصحاء بسبب ضغوط اقتصادية أو سياسات مكافحة الأمراض يعانون من صدمات نفسية تفوق في بعض الأحيان تلك التي يعانيها جنود ما بعد الحرب.

وكشفت الدراسة النوعية لـPurc-Stephenson وآخرون (2025) أن عملية إبادة القطعان (Depopulation) سواء بسبب الأمراض الوبائية أو ضغط الجفاف تُخلِّف أثراً نفسياً يصفه المزارعون أنفسهم بـ"الموت بألف جرح"؛ وهو تعبير مجازي يُحيل بدقة إلى الطبيعة التراكمية للضائقة، التي لا تنجم عن صدمة واحدة حادة بل عن تراكم مستمر من الخسائر الصغيرة المتلاحقة.

هذا البُعد الأخلاقي يستدعي التأمل النقدي في السياسات الزراعية السائدة، فكثير من الأنظمة التي تُوجِب على المزارع إتلاف مواشيه أو التخلي عن ممارسات زراعية توارثها عن أجداده لا تأخذ بعين الاعتبار الثمن النفسي لهذه القرارات، وهنا يكمن صُلب النقد: السياسات الزراعية لا يمكن أن تبقى عمياء عن الأبعاد النفسية–الأخلاقية لقراراتها.

3- تصحر الأراضي وتدهور المراعي

وفّرت دراسة Li وآخرون (2025) على الرعاة في المناطق الرعوية الصينية نموذجاً تحليلياً فريداً لفهم الآليات النفسية لتدهور المراعي، وكشفت النتائج أن هؤلاء الرعاة لا يُدركون التحولات البيئية المتسارعة باعتبارها ظاهرة خارجية تُهدد مصدر رزقهم فحسب، بل باعتبارها اعتداءً مباشراً على هويتهم الوجودية المُبنية عبر أجيال من التعايش مع الطبيعة، وتكتسب هذه النتيجة أهمية مضاعفة حين تُقرأ بالتوازي مع دراسة Maral وآخرون (2025) التي رصدت بالتأصيل النظري الجذري (Grounded Theory) كيف يُعيد الرعاة الإيرانيون تفسير ظاهرة تصحر أراضيهم عبر مُرشِّحات ثقافية خاصة، مُنتجةً خطاباً نفسياً–وجودياً يختلف جذرياً عن الأطر التشخيصية الغربية.

في إطار أشمل، رصد Roman وآخرون (2024) ما يسمونه "تراكم الهشاشة" (Vulnerability Layering) لدى المجتمعات المتضررة من تدهور الأراضي: فالتدهور البيئي لا يضرب فئة واحدة بل يُفاقم الهشاشة الاجتماعية القائمة، ليقع الثمن الأكبر على عاتق الأسر الأكثر فقراً والنساء والمجتمعات الأصلية التي تملك أضعف الموارد للتكيّف.

4- انعدام الأمن الغذائي والبُعد المُركَّب للاستجابة النفسية

لا يمكن فصل الصحة النفسية لمجتمعات الثروة الحيوانية عن دائرة انعدام الأمن الغذائي، إذ يُشكّل الأخير عاملاً وسيطاً بين التدهور البيئي والاضطراب النفسي، تُؤكد دراسة Njagi وآخرون (2025) الطولية في ريف كينيا أن التعرض المتكرر لموجات الجفاف يُولّد حالة من القلق المستمر إزاء انعدام الأمن الغذائي، وهي حالة تتجذر وتُصبح مزمنة بمرور الوقت، لتُشكّل خلفية نفسية مستديمة يصعب علاجها بالأدوات الإكلينيكية التقليدية.

وتكشف دراسة Sena & Ebi (2021) الشاملة عن التشابك العميق بين التصحر وتدهور الأراضي وتأثيرات الصحة البشرية، أن هذه الثلاثية تُشكّل نظاماً مفرغاً تتغذى فيه الحلقات على بعضها: الضائقة الاقتصادية تُولّد ضيقاً نفسياً، يُضعف القدرة على الإدارة الزراعية الرشيدة، مما يُفاقم التدهور البيئي، فيُعمق الضائقة الاقتصادية من جديد، كسر هذه الدوامة يستلزم تدخلاً متزامناً على مستويات متعددة.

عوامل الخطر والعوامل الوقائية

1- عوامل الخطر

وفّرت دراسة Yazd وآخرون (2019) المنهجية للعوامل النفسية المرتبطة بالمزارعين أطاراً تحليلياً مُتقناً يُصنّف عوامل الخطر في ثلاث منظومات مترابطة: العوامل الاقتصادية–المالية (الديون والتذبذب في أسعار السلع والتأمينات المنتجية الهشة)، والعوامل البيئية–المناخية (الطقس المتطرف وتدهور الموارد)، والعوامل الاجتماعية–النفسية (العزلة الجغرافية وضعف شبكات الدعم والوصمة المرتبطة بطلب المساعدة النفسية)، وهذه العوامل لا تعمل منفردةً بل تتآزر وتتضاعف.

الجنس متغيّر محوري لا يمكن إغفاله، فبينما يرتبط المزارعون الذكور أكثر بمؤشرات الاكتئاب وخطر الانتحار حين تُهدد ظروف المزرعة هويتهم الذكورية المبنية على الإنتاج، تُعاني المرأة الريفية من ضغط مُضاعف تُوثّقه دراسة Daraz وآخرون (2024) في باكستان، إذ يتجلى في انعدام الوصول إلى الموارد الصحية والتعرض غير المتناسب لتأثيرات التغير المناخي، وللأسف، تبقى المرأة الريفية في معظم الأدبيات الموضوعية "صوتاً غائباً" في المعادلة البحثية.

أما مجتمعات السكان الأصليين ومجتمعات الأقليات الإثنية المرتبطة بالرعي والزراعة، فإنها تحمل عبئاً مُضاعفاً، كشفت مراجعة Middleton وآخرون (2020) لـ114 دراسة حول الصحة النفسية للسكان الأصليين في سياق التغير المناخي أن الأذى النفسي يُركِّز لديهم في نقطة التقاطع بين فقدان الأرض

وفقدان الهوية الثقافية وانهيار أنظمة المعرفة التقليدية المرتبطة بالنظم البيئية، مما يُنتج شكلاً من أشكال الصدمة التاريخية المُضاعَفة.

2- عوامل الصمود والمرونة النفسية

ليس الوقوف عند عوامل الخطر وحده ما يُفيد البحث والتدخل؛ لا بد من فهم عوامل الصمود والمرونة النفسية (Psychological Resilience) التي تُخفّف من وطأة الضائقة، استكشفت دراسة Saju وآخرون (2024) في الهند العوامل الوقائية النوعية لدى المزارعين، وكشفت أن الروابط العائلية المتينة والانتماء المجتمعي القوي والإيمان الديني والتوجه نحو الزراعة باعتبارها دعوة روحية لا مهنة مجردة تُشكّل حصوناً دفاعية هامة أمام الضائقة النفسية.

وتؤكد دراسة Mirzaei وآخرون (2024) في إيران وهي بيئة مختلفة جذرياً عن البيئات الغربية السائدة في الأدبيات أن المرونة النفسية لدى مزارعي المناطق الجافة المتضررة من الجفاف لا تُبنى في الفراغ، بل تتشكل من خلال شبكة معقدة من السرديات الثقافية والدينية والروابط الاجتماعية التي تمنح الضائقة معنىً يتجاوز الفردي نحو الجماعي والتاريخي.

ما تُرسيه هذه الدراسات هو أن المرونة النفسية ليست سِمة شخصية ثابتة بل هي مَوردٌ اجتماعي بيئي قابل للتآكل والبناء، وهذا يُحمِّل السياسات العامة مسؤولية حماية هذا المورد لا أن تُفترض مسبقاً وجوده لدى مجتمعات تعيش أصلاً على حافة الانكشاف.

التدخلات والسياسات الصحية

1- التدخلات الصحية النفسية الموثّقة

رصدت مراجعة Younker & Radunovich (2022) المنهجية للتدخلات الصحية النفسية الموجَّهة للمزارعين مشهداً مُقلقاً: رغم توافر عدد لا بأس به من البرامج التدخلية، يبقى غالبيتها افتقر إلى التقييم المنهجي الصارم، كذلك تميل هذه التدخلات إلى نمطين متكررين برامج الوعي النفسي، وخطوط المساعدة الهاتفية دون أن تعالج الأسباب البيئية والاقتصادية البنيوية التي تُغذّي الضائقة، وهذا الإخفاق المنهجي هو نقد جوهري ينبغي أن يُوجّه أجندة البحث القادمة.

رغم ذلك، ثمة تجارب تستحق الإضاءة، أثبتت برامج الإرشاد النظير (Peer Support) التي تُوظّف مزارعين سابقين كمُيسِّرين نفسيين، فعاليةً تفوق أحياناً الخدمات المهنية التقليدية، لأسباب تتعلق بالمصداقية والثقة والفهم المشترك للسياق الزراعي، وتُوثِّق دراسة Levallois وآخرون (2025) المراجعة الشاملة لعلاقة

رفاهية المزارع برفاهية حيواناته وفق إطار One Welfare أن تحسين ظروف الحيوانات يُنعكس إيجاباً على المزارع نفسه، وهو ما يُدعم نماذج التدخل المتكاملة التي تُعالج الطرفين في آنٍ واحد.

2- نحو مقاربة One Health للصحة النفسية الريفية

تُشير Reaser & Kirkey (2025) في ورقتهما المحورية المنشورة في BioScience أن الحزن البيئي ينبغي أن يُدرج في جوهر استراتيجيات One Health باعتباره مؤشراً حياً على تدهور الترابط بين الإنسان والنظام البيئي، هذه الحجة تتجاوز العلاج الفردي لتطرح سؤالاً سياسياً جوهرياً: كيف نُصمِّم بيئاتٍ تدعم الصحة النفسية الجماعية كجزء من صحة النظام البيئي ذاته؟

وفي السياق ذاته، تدعو دراسة Shoko Kori (2023) من منظور أفريقي جنوب الصحراء إلى إدماج الصحة النفسية للمزارعين الصغار في أهداف التنمية المستدامة، مُجادِلةً بأن التجاهل المؤسسي لهذا البُعد النفسي يُقوِّض كل جهود التحول الزراعي المستدام، فكيف يمكن لمزارع يعاني من اكتئاب مزمن أن يتبنى ممارسات زراعية مستدامة طويلة المدى؟ الأمن النفسي شرط مسبق للاستدامة البيئية، لا ترف يُضاف إليها.

وما تكشفه مراجعة Charlson وآخرون (2021) للأدلة بين الصحة النفسية والتغير المناخي أن ثمة فجوة واسعة بين القناعة النظرية بهذه العلاقة وبين ترجمتها إلى سياسات صحية فعلية، وتُشدِّد المراجعة على ضرورة بناء أنظمة رصد متكاملة تُدرج المؤشرات النفسية جنباً إلى جنب مع المؤشرات البيئية والاقتصادية في منظومة واحدة.

الثغرات البحثية والتوجيهات المستقبلية

لا تُكمّل مراجعة الأدبيات صورتها دون وقفة نقدية عند حدودها، أبرز الثغرات هي: غلبة الدراسات الكمية على الدراسات النوعية التي وحدها قادرة على التقاط عمق التجربة المعيشية للمزارع، وهيمنة السياقات الأنغلوساكسونية (أستراليا وكندا والمملكة المتحدة) على حساب دراسات من آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط حيث تتمركز الحصة الأكبر من مجتمعات الرعي والثروة الحيوانية، وغياب الدراسات الطولية (Longitudinal Studies) التي تتتبع الأثر النفسي لتدهور البيئة عبر الزمن، وشُح الأدلة المتعلقة بالأطفال والشباب في هذه المجتمعات رغم أن تأثيرهم المستقبلي في منظومة الثروة الحيوانية هو الحاسم.

كذلك تظل أدوات القياس النفسي متكلّسةً في أُطر ثقافية لم تُصمَّم أصلاً لمجتمعات الرعي في الجنوب العالمي، ما يدفع إلى التساؤل: هل يُعاني رعاة شمال أفريقيا وأطلال آسيا الوسطى فعلاً من "الحزن البيئي"

بالصورة التي يصفها Cunsolo & Ellis؟ أم أن ثمة أطراً ثقافية محلية أكثر دقةً وجدارةً بالتوثيق الأكاديمي؟

على صعيد الأولويات البحثية المستقبلية يُوصي هذا البحث بـ:

1- تطوير مقاييس نفسية مُحلَّقة ثقافياً لمجتمعات الرعي والثروة الحيوانية في السياقات غير الغربية.

2- إجراء دراسات طولية متعددة المواقع تتتبع الأثر النفسي لتدهور البيئة عبر فترات زمنية تمتد لعقود.

3- بناء منهجيات بحثية مشاركاتية (Participatory Action Research) تُشرك المجتمعات المحلية في تصميم البحث وتفسير نتائجه.

4- دراسة العلاقة بين الرفاه الحيواني والصحة النفسية البشرية ضمن مجتمعات الثروة الحيوانية بنماذج أكثر تكاملاً وشمولاً.

الخاتمة

حين يموت المرعى، لا يموت الطُّحلب وحده ولا العشب وحده؛ يموت معهما جزء من الذاكرة الجماعية وجزء من الهوية وجزء من الصحة النفسية لمن قضوا أعمارهم يرعون فيه، هذه الحقيقة التي كشفتها الأبحاث المتراكمة في العقد الأخير ليست مجرد إضافة أكاديمية إلى أدبيات الصحة النفسية؛ إنها تحدٍّ سياسي وأخلاقي يستلزم إعادة رسم حدود ما نعدّه "أزمة صحية" و"أزمة بيئية" و"أزمة اجتماعية"، فهذه الحدود، على ما يتضح، أوهم مما توحيه.

يُحدّد هذا البحث منطقةً برزخية مُهمَلةً في السياسات الصحية: الفضاء النفسي الذي يشغله المزارعون والرعاة حين تنهار الأرض من تحتهم ببطء لا يُرصد، ويُجادل البحث بأن التدخل الفعّال في هذا الفضاء يتطلب ثلاثة تحولات متزامنة: تحولاً معرفياً يُشرعن الحزن البيئي باعتباره استجابة إنسانية لا اضطراباً سريرياً، وتحولاً مؤسسياً يُدمج الصحة النفسية في سياسات البيئة والزراعة والتنمية الريفية، وتحولاً منهجياً يُعطي الأولوية للمعرفة المحلية ولأصوات مجتمعات الرعي أنفسهم في بناء المعرفة وتوجيه التدخلات.

في نهاية المطاف، إذا كانت الاستدامة البيئية هدفاً مشروعاً لا تُجادل فيه الأجندات الدولية، فإن الاستدامة النفسية للمجتمعات الحارسة لهذه البيئة ينبغي أن تكون شرطها اللاجئ لا ملحقها الاختياري.

المصادر والمراجع

1. Acharibasam, J. W., & Anuga, S. W. (2018). Psychological distance of climate change and mental health risks assessment of smallholder farmers in northern Ghana. *Climate Risk Management, 21*, 16–25. https://doi.org/10.1016/j.crm.2018.04.002
2. Austin, E. K., Handley, T., Kiem, A. S., Rich, J. L., Lewin, T. J., Askland, H. H., Askarimarnani, S. S., Perkins, D. A., & Kelly, B. J. (2018). Drought-related stress among farmers: Findings from the Australian Rural Mental Health Study. *Medical Journal of Australia, 209*(4), 159–165. https://doi.org/10.5694/mja17.01200
3. Charlson, F., Ali, S., Benmarhnia, T., Pearl, M., Massazza, A., Augustinavicius, J., & Bhui, K. (2021). Climate change and mental health: A scoping review. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 18*(9), 4486. https://doi.org/10.3390/ijerph18094486
4. Comtesse, H., Ertl, V., Hengst, S. M. C., Rosner, R., & Smid, G. E. (2021). Ecological grief as a response to environmental change: A mental health risk or functional response? *International Journal of Environmental Research and Public Health, 18*(2), 734. https://doi.org/10.3390/ijerph18020734
5. Cunsolo, A., & Ellis, N. R. (2018). Ecological grief as a mental health response to climate change-related loss. *Nature Climate Change, 8*(4), 275–281. https://doi.org/10.1038/s41558-018-0092-2
6. Daraz, U., Khan, A., Alsawalqa, R. O., Alrawashdeh, H. M., & Alnajdawi, S. M. (2024). Impact of climate change on women mental health in rural hinterland of Pakistan. *Frontiers in Psychiatry, 15*, 1450943. https://doi.org/10.3389/fpsyt.2024.1450943
7. Ellis, N. R., & Albrecht, G. A. (2017). Climate change threats to family farmers' sense of place and mental wellbeing: A case study from the Western Australian Wheatbelt. *Social Science & Medicine, 175*, 161–168. https://doi.org/10.1016/j.socscimed.2017.01.009
8. Hagen, B. N. M., Albright, A., Sargeant, J. M., Winder, C. B., Harper, S. L., O'Sullivan, T. L., & Jones-Bitton, A. (2019). Research trends in farmers' mental health: A scoping review of mental health outcomes and interventions among farming populations worldwide. *PLOS ONE, 14*(12), e0225661. https://doi.org/10.1371/journal.pone.0225661
9. Hanigan, I. C., & Chaston, T. B. (2022). Climate change, drought and rural suicide in New South Wales, Australia: Future impact scenario projections to 2099. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 19*(13), 7855. https://doi.org/10.3390/ijerph19137855
10. Hoyland, F., Hopkinson, J., Davies, A., & Garnham, B. (2025). "Death by a thousand cuts": The role of moral distress and moral injury in farmer mental ill-health. *Journal of Agricultural and Environmental Ethics*, 38, 26. https://doi.org/10.1007/s10806-025-09955-3
11. Jones-Bitton, A., Best, C., MacTavish, J., Fleming, S., & Hagen, B. N. M. (2020). Stress, anxiety, depression, and resilience in Canadian farmers. *Social Psychiatry and*

Psychiatric Epidemiology, 55(2), 229–236. https://doi.org/10.1007/s00127-019-01738-2

12. Levallois, P., Gunn, K. M., Hughes-Barton, D., & Kolstrup, C. L. (2025). Relationships between farmer well-being and the welfare of their animals: A One Welfare scoping review. *Frontiers in Veterinary Science*. https://doi.org/10.3389/fvets.2025.1592038
13. Leviston, Z., & Dandy, J. (2023). Anticipating environmental losses: Effects on place attachment and intentions to move. *Journal of Migration and Health, 7*, 100152. https://doi.org/10.1016/j.jmh.2023.100152
14. Li, D., Zuo, A., & Hou, L. (2025). When nature strikes: Unraveling the mental health consequences among herders in China's pastoral region. *Social Science & Medicine, 380*, 118237. https://doi.org/10.1016/j.socscimed.2025.118237
15. Luong, T. T., Handley, T., Austin, E. K., Kiem, A. S., Rich, J. L., & Kelly, B. J. (2021). New insights into the relationship between drought and mental health emerging from the Australian Rural Mental Health Study. *Frontiers in Psychiatry, 12*, 719786. https://doi.org/10.3389/fpsyt.2021.719786
16. Maral, S., Shahriary, E., Alizadeh, E., & Mohammady, M. (2025). Understanding rangeland desertification through pastoralist perspectives using a grounded theory approach. *Scientific Reports, 15*, 2451. https://doi.org/10.1038/s41598-025-86272-3
17. Markkula, I., Turunen, M. T., Rikkonen, T., Rasmus, S., Koski, V., & Welker, J. M. (2024). Climate change, cultural continuity and ecological grief: Insights from the Sámi Homeland. *Ambio, 53*(8), 1203–1217. https://doi.org/10.1007/s13280-024-02012-9
18. Middleton, J., Cunsolo, A., Jones-Bitton, A., Wright, C. J., & Harper, S. L. (2020). Indigenous mental health in a changing climate: A systematic scoping review of the global literature. *Environmental Research Letters, 15*(5), 053001. https://doi.org/10.1088/1748-9326/ab68a9
19. Mirzaei, M., Mohamadi Khosh Kholg, M., Falahati Marvast, N., Ahmadinia, H., & Nakhaei, N. (2024). Exploring factors affecting psychological resilience of farmers living in drought-affected regions in Iran: A qualitative study. *Frontiers in Psychology, 15*, 1418361. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2024.1418361
20. Njagi, P., Thuku, G. W., Kamau, P., Mbuthia, H., Ngaruiya, G., Gathecha, G. K., Gitonga, I., Kariuki, S. M., & Newton, C. R. J. C. (2025). Navigating the nexus of food insecurity, anxiety, and depression in the face of climate change: A longitudinal study in rural Kenya. *Frontiers in Psychiatry*. https://doi.org/10.3389/fpsyt.2025.1580419
21. Nuvey, F. S., Kreppel, K., Nortey, P. A., Addo-Lartey, A., Sarfo, B., Fokou, G., Ameme, D. K., Kenu, E., Sackey, S., Addo, K. K., Afari, E., Chibanda, D., & Bonfoh, B. (2020). Poor mental health of livestock farmers in Africa: a mixed methods case study from Ghana. *BMC Public Health, 20*(1), 825. https://doi.org/10.1186/s12889-020-08949-2
22. Purc-Stephenson, R. J., Roy, N., Chimaobi, A., & Hood, D. (2025). "The Hill in Front of You": A qualitative study of the mental health impact of livestock diseases and

depopulation on farmers. *Journal of Agromedicine*. https://doi.org/10.1080/1059924X.2025.2470967

23. Reaser, J. K., & Kirkey, I. M. (2025). Ecological grief is a One Health imperative for building socioecological resilience. *BioScience*, Article biaf135. https://doi.org/10.1093/biosci/biaf135
24. Roman, A., Horcea-Milcu, A. I., Ioja, I. C., & Popa, A. M. (2024). Land degradation: Addressing the vulnerability of local people through the lens of transformative change. *Heliyon, 10*(18), e37891. https://doi.org/10.1016/j.heliyon.2024.e37891
25. Saju, S., Reddy, S. K., Bijjal, S., & Annapally, S. R. (2024). Farmer's mental health and well-being: Qualitative findings on protective factors. *Journal of Neurosciences in Rural Practice, 15*(2), 307–312. https://doi.org/10.25259/JNRP_403_2023
26. Sena, A., & Ebi, K. L. (2021). When land is under pressure health is under stress: Desertification, land degradation and drought impacts on human health. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 18*(1), 136. https://doi.org/10.3390/ijerph18010136
27. Shoko Kori, D. (2023). The psychosocial impact of climate change among smallholder farmers: a potential threat to sustainable development. *Frontiers in Psychology, 14*, 1067879. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2023.1067879
28. Vins, H., Bell, J., Saha, S., & Hess, J. J. (2015). The mental health outcomes of drought: A systematic review and causal process diagram. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 12*(10), 13251–13275. https://doi.org/10.3390/ijerph121013251
29. Wahid, S. S., Musyimi, C., Oestericher, B., Bosire, E. N., Carruth, L., & Mendenhall, E. (2025). Ecological grief among farmers and pastoralists in Ethiopia and Kenya. *SSM – Mental Health.* https://doi.org/10.1016/j.gfs.2025.100820
30. Weatherly, C., Carag, J., Zohdy, S., & Morrison, M. (2023). The mental health impacts of human-ecosystem-animal relationships: A systematic scoping review of Eco-, Planetary, and One Health approaches. *One Health, 17*, 100621. https://doi.org/10.1016/j.onehlt.2023.100621
31. Yazd, S. D., Wheeler, S. A., & Zuo, A. (2019). Key risk factors affecting farmers' mental health: A systematic review. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 16*(23), 4849. https://doi.org/10.3390/ijerph16234849
32. Younker, T., & Radunovich, H. L. (2022). Farmer mental health interventions: A systematic review. *International Journal of Environmental Research and Public Health, 19*(1), 244. https://doi.org/10.3390/ijerph19010244